التناص التاريخي في شعر رشيد مجيد

م.م. آمال مدلول عطيه
amal756@gmail.com
جامعة ذي قار/ كلية التربية للعلوم الإنسانية

الملخص

إن التاريخ مصدر تراثي ذو اهمية في تشكيل النص الشعري الحديث ؛ وذلك عندما تتجسد بداخله قدرة الشاعر على اضفاء البعد الدلالي المعاصر، على النص التاريخي القديم المتمثل بالحدث أو الشخصية التاريخية، والكشف عن مضامين وابعاد تجربته الشعرية واسقاطاتها النفسية، فالتناص ظاهرة بارزة في شعر رشيد مجيد وفي تشكيل رؤيته التي تتوافق مع متطلبات الواقع المعاش لديه.

الكلمات المفتاحية: التناص التاريخي، شعر رشيد مجيد.

Historical intertextuality in the poetry of Rashid Majeed

M.M. Amal Madlol Atyia
University of Dhi Qar / College of Education for Human Sciences

Abstract

History is a heritage source of importance in the formation of the modern poetic text, when embodied within it the poet's ability to give the contemporary semantic dimension to the ancient historical text represented by the event or historical figure, and to reveal the contents and dimensions of his poetic experience and psychological projections, intertextuality is a prominent phenomenon in the poetry of Rashid Majeed and in the formation of his vision that corresponds to the requirements of the lived reality.

مدخل

التاريخ ((فن عزيز المذهب، جم الفوائد، شريف الغاية، إذ هو يوقفنا على احوال الماضيين من الامم في اخلاقهم، والانبياء في سيرهم، والملوك في دولهم وسياستهم، حتى تتم الاقتداء في ذلك لمن يرومه في أحوال الدين والدنيا)) [١].

ويرتبط الادب بالتاريخ بوساطة دراسته للظروف السياسية والاجتماعية للعصر الذي ينتمي إليه ذلك الأدب المحدد بمدة زمنية معينة [٢].

والتناص التاريخي هو تداخل النصوص التاريخية مع النص الشعري الحديث، فينتج عن الانسجام أو التفاعل بين النص التاريخي القديم والسياق أو الحدث النصي الجديد، تأدية أغراض فكرية وفنية [٣].

والنص التاريخي كان وما يزال سنداً للشاعر يستطيع عن طريق مزج نصه الحاضرِ بالنص الغائب وذلك في صياغة واحدة، تعبيراً عن تجربته أو رؤيته الشعرية الخاصة [٤] .

فالأهمية أو الغاية من استحضار الشخصيات والأحداث التاريخية الخالدة في تراث الأمم المختلفة، في داخل نصوص الشاعر الحديث، هو التعبير عن أفكار الشعراء ومقاصدهم المتنوعة، التي ربما لا يستطيعون الافصاح عنها بشكل صريح، فيلجؤون إلى الغطاء أو النص التاريخي بما يتناسب مع تجاربهم الآنية [٥].

ومن نماذج ذلك التوظيف، ما جاء في قصيدته (يا أميري)، نراه يقول :

لأرى منة السماء على الأرض
بإشراقة الهدى الغراء
وأرى البيعة التي باركتها
يد (طه) لسيد الأوصياء
والأكف التي تشد على خير يد
بويعت بخير ولاء
حيث تبدو إرادة الله كالشمس
لتجلو غياهب الظلماء
غير أن النفوس في خلقها ذات صفاءٍ
وغير ذات صفاء [٦].

يستحضر الشاعر حادثة (عيد الغدير الأغر) وتتويج الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه واله وسلم) إلى الأمام علي (عليه السلام) بالبيعة والولاء، وهو حدث تاريخي وعقائدي وولائي يحتفل به محبي وشيعة أمير المؤمنين (عليه السلام) في كل عام تجديداً للبيعة والولاء، فينتقي الشاعر من الشخصيات التراثية أو المرجعية التي لها اثرها في الحياة الإنسانية، والتي ترتبط تاريخياً بالقضايا ذات العلاقة وكيفية التعامل المجتمعي في المدة الزمنية التي عاشت فيها [٧].

ويوظفها توظيفاً ابداعياً خاصاً في بنيّة قصيدته الشعرية تحقيقاً للبعد الدلالي المقصود المرتبط بنقض العهود والمواثيق وواقع الأمة الإسلامية والعربية سواء في زمن الامام علي (عليه السلام)

وفي وقتنا الحاضر باستشراء آفة الطائفية والصراعات والقتل، وكل ما يجري على الأمة العربية الإسلامية والبشرية جميعاً من المظالم والويلات .

وفي قصيدته (الصوت والباب المغلق)، يقول الشاعر :

يا ضمير الله، يا صمت شفاه لم يحركها لسان
من زمان
أيها الصبر الجليدي المسجى من زمان
كل يوم تلد الأرض نبياً مستهان
كل يوم ألف مأساة (حسين) في مكان
كل يومٍ (كربلاء)
ومزيدٌ من سبايا ودماء
كل يوم صولجان
ويدوٌ يخجل منها الصولجان [٨]

إن من الشخصيات التاريخية ذات التوجه أو الاطار الديني هي شخصية الامام الحسين بن علي عليهما السلام، ومن الحوادث التاريخية العظيمة هي حادثة (الطف) في أرض كربلاء المقدسة، وما جرى بذلك على الامام الحسين عليه السلام واهل بيته الاطهار في شهر محرم الحرام . فقد استحضر الشاعر هذه الحادثة بشخوصها ومأساتها، واسقط عليها من ابعاد تجربته ومعاناته الخاصة فيما يتعرض له أبناء شعبه من الظلم والقهر والحرمان، وما يعانيه من تسلط الطغاة ومستبيحي الحق والدماء في واقعه الراهن آنذاك .

وشخصية الامام الحسين (عليه السلام) من الشخصيات التاريخية التي ارتبط اسمها بالدلالة على التضحية والشهادة والمقاومة ونصرة الحق والمظلوم والوقوف بوجه الظالم، والتي الهمت الكثير من شعراء النص الحديث ((بالمضامين المتعددة والأفكار المتسمة بالمقاصد والرؤى [...] فهو الممثل الفذ لصاحب القضية النبيلة الذي يعرف سلفاً أن معركته مع قوى الباطل خاسرة ولكن ذلك لا يمنعه من أن يبذل دمه الطهور في سبيلها موقناً أن هذا الدم هو الذي سيحقق لقضيته الانتصار والخلود وأن استشهاده انتصاراً له ولقضيته))[٩].

وربما أراد الشاعر من ذلك الاستحضار استنهاضاً للهمم والأصوات من أجل الخلاص عن طريق مخاطبته للذات الإلهية .

وفي قصيدة الشاعر (وجه بلا هوية)، نراه يقول :

فهل عرفتم صاحب الهوية ؟
ابعثُ من مغارة الزمان
وريث أولى السفن التي اماطت زبد الطوفان

حتى إذا استوت على الجودي، وارتدت خيول الماء
انصاعت الأرض إلى السماء
ودبت الحياة في الغبراء
وانتفضت روح الثرى عن (آدم) جديد
أنا هو الجديد والقديم (١٠)

يستحضر الشاعر في هذا النص حادثة (الطوفان) العظيم المرتبط بسفينة نوح (عليه السلام)، وهي حادثة تاريخية حدثت في بلاد وادي الرافدين ؛ وذلك عن طريق التتبع للسياق النصي للأحداث التي وردت بداخله اشارات تاريخية تناصية مع النص أو الحدث التاريخي القديم، ومنها ما جاء في قول الشاعر (أولى السفن)، و (الجودي) : وهو الجبل الذي استقرت عليه السفينة بعد انتهاء حادثة الطوفان واغراق الكافرين ونجاة النبي نوح عليه السلام ومن معه من المؤمنين، فحضور النص التاريخي بأحداثه وشخوصه يُسهم تناصياً في بناء النص الشعري الجديد، عن طريق الذاكرة أو المقروء الثقافي لدى الشاعر الحديث (١١).

والجانب الأهم في ذلك هو كان الشاعر قد أراد من ذلك التوظيف أو الاستدعاء للنص التاريخي المتمثل بحادثة (الطوفان) هو للدلالة على الغرض أو الفكرة العكسية التي يريد توصلها إلى المتلقي بين الحدث التاريخي القديم الذي يُذكر فيه هلاك الكافرين والدمار للأرض أو الطبيعة نتيجة الطوفان العظيم، بين السياق النصي الحديث الذي يذكر بداخله وجود الحياة في هذه الأرض وولادة الإنسان المثالي الجديد، ومن مثل بين الواقع الذي يفند ذلك التصور في وجود الإنسان العاصي والمذنب والظالم والطغاة والمفسد في الأرض .

وفي قصيدة الشاعر (هكذا قال أبو ذر)، نراه يقول :

من خلال العصر الأولى، ومن منفاي ما بين القفار
من ضريح عفت الريح بقاياه التي في (الربذة)
عدت من عالمي الآخر عبر (الربذة)
أنني صوت الذي جلجل يوماً فطوته (الربذة)
لم يزل يصرح فيكم رغم طول الانتظار،
من يجع يخرج على الناس بسيفه
أو من استعبد فليهرع إلى مقبض سيفه
لم يكن لله قال عندنا
كل ما تحوي بيوت المال ملك للرعية (١٢)

يدعم الشاعر رؤيته أو تجربته الشعرية الخاصة برؤية أو تجربة غيرية من النص القديم، وذلك عن طريق الاستدعاء بالتناص للشخصية أو الاحداث التي يجد بينها وبين موضوعه علاقة

متشابهة [١٣]. فيستحضر الشاعر في هذا النص الشعري شخصية (أبو ذر الغفاري) وهو شخصية تاريخية ذات اطار أو توجه ديني وهو من كبار صحابة الرسول (صلى الله عليه واله وسلم) ومعاصريه، وأوائل من تشيع على يد أمير المؤمنين علي بن ابي طالب (عليه السلام)، ومحبي أهل البيت (؛عليهم افضل الصلوات والسلام)، ويوظف الشاعر هذه الشخصية التاريخية في داخل بناء نصه الشعري المعاصر ليؤكد على أهمية وجود حالة من التشابه والتناص بين ما تعرضت له هذه الشخصية التاريخية المسلمين آنذاك، وما يتعرض له هو وابناء وطنه من الطغاة شتى ألوان الجوع والظلم والاستعباد في الحاضر .

فهي الأكثر التصاقاً برؤيته العصرية وانساقها الثقافية [١٤]، فيتوحد الشاعر ويتفاعل مع هذه الشخصية للتعبير عن همومهم ومعاناتهم لينتقي ما يجده مناسباً من الشخصيات التراثية التي لها أثر في حياة الإنسان وقضاياه المختلفة على مختلف العصور والأزمان .

وشخصية (أبو ذر) من الشخصيات التي عرفت بالمواجهة والوقوف بوجه الظلم والجوع والسلطات الظالمة، والدعوة إلى التمرد والثورة على الطغاة واصحاب النفوذ المغمون بأموال أبناء شعوبهم من الفقراء، فتعرض من اجراء ذلك الى النفي والاقصاء وجاءت في النص اشارات تاريخية منها في مقولته المتداولة التي يدعو بها هؤلاء الفقراء والمستعبدين إلى مواجهة ذلك لمقابض يسوفهم وللشعراء الاحرار بكلمتهم الحرة الصادقة وتأجيج النفوس إلى الثورة في الحاضر.

وفي تجربته الشعرية في قصيدته (أنا ههنا)، التي يقول الشاعر فيها :

وأرى هنا

في صمتي المقرور (هولاكو) وجيش الفاتحين

يجتاح بغداد التي لا تسترق ولا تلين

فتفيض دجلة بالدماء

وينام واديها الحزين

ويدور دورته الزمان وتنقضي تلك السنين

فإذا الحياة

كما عهدت تعج بالألم الدفين

صوت الجياع

ونجوى الحائرين [١٥]

يعيد الشاعر إلى ذاكرة الاذهان أحداث سقوط بغداد على (هولاكو) الذي هو من الشخصيات التاريخية التي عرفت بالقتل والظلم والطغي، فمثلت (الوجه المظلم لتاريخنا)[١٦].

فيتناص الشاعر مع هذه الشخصية في بناء نصه الشعري الحديث، الذي يجده مكاناً ملائماً لسرد الأحداث، ليعايشُ التجربة الشعورية نفسها التي عاشها المسلمين في أثناء سقوط بغداد آنذاك، وذلك من جراء ما يتعرض له من الظلم والجوع والعذاب والحروب، ولا سيما أن كتابة النص قد جرت في داخل السجون أو المعتقلات فهو ما أشار إليه الشاعر في بداية التقديم للنص الشعري .

فهولاكو الشاعر رشيد مجيد هو النظام السلطوي المتمثل بأجهزته القمعية في الحاضر .

الخاتمة:-

ان التناص من ابرز القضايا المعاصرة التي يتطلبها الإبداع الأدبي، ولا سيما الشعري الحديث، في التعالق مع النصوص الأخرى، واعادة خلقها من جديد.

فجاءت نصوص رشيد مجيد الشعرية زاخرة بالتناص مع المرجعية التاريخية، عن طريق الاستدعاء للموروث التاريخي وانتاج نص ادبي جديد.

الهوامش

(١) مقدمة أبن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق : عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق – سوريا، ط١، ٢٠٠٤م : ٩٢/١ .

(٢) ينُظر : المفارقة في شعر وليد اخلاصي، (أطروحة دكتوراه) : أرشد يوسف عباس، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة الموصل، ٢٠٠٦م : ٩٥ .

(٣) ينُظر : التناص نظرياً وتطبيقياً : احمد الزعبي،مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان – الأردن،ط٢،٢٠٠٠ م: ٣٠ .

(٤) ينُظر : شعرية الإلماع المرجعي في شعر كزار حنتوش، (بحث) : شيماء خيري فاهم، مجلة جامعة القادسية، مج٩، ع٢، ٢٠١٠م : ٣١ .

(٥) ينُظر : استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر : علي عشري زايد،دار الفكر العربي، القاهرة _مصر، (د.ط)، ١٩٩٧ م: ٣٣ .

(٦) ديوان الزيت المقدس : رشيد مجيد، مخطوط : ٣٦-٣٧ .

(٧) ينُظر : رؤى نقدية لإبداعات شعرية : سلمان حسن زيدان، عالم الكتب الحديث، أربد – الأردن ، ط١، ٢٠١٣م : ٦ .

(٨) ديوان الرقص في مواسم الألم : رشيد مجيد :١٠٧ .

(٩) استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي : ١٢١-١٢٢ .

[١٠] الأعمال الشعرية : رشيد مجيد،المؤسسة العربية، بيروت – لبنان،(د.ط)، ٢٠٠١ م: ٢٢ .

[١١] ينُظر : التناص نظرياً وتطبيقياً : ١٨ .

[١٢] الأعمال الشعرية : ١٦١ .

[١٣] ينُظر : التناص في الشعر العربي الحديث (البرغوثي نموذجاً) : حصة البادي، دار كنوز المعرفة، عمان – الأردن، ط١، ٢٠٠٩ م: ١٠٧ .

[١٤] بنية قصيدة الشخصية في الشعر العراقي الحديث :علي عز الدين الخطيب،الدار العربية للعلوم، بيروت – لبنان، (د.ط)،٢٠١٥ م :٤٥-٤٦ .

[١٥] ديوان الرقص في مواسم الألم : ٢٣٥ .

[١٦] استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر : ١٢١-١٢٢ .

المصادر

استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر : علي عشري زايد،دار الفكر العربي، القاهرة _مصر، (د.ط)، ١٩٩٧ م.

الأعمال الشعرية : رشيد مجيد،المؤسسة العربية، بيروت – لبنان،(د.ط)، ٢٠٠١ م.

بنية قصيدة الشخصية في الشعر العراقي الحديث :علي عز الدين الخطيب،الدار العربية للعلوم، بيروت – لبنان، (د.ط)،٢٠١٥.

التناص في الشعر العربي الحديث (البرغوثي نموذجاً) : حصة البادي، دار كنوز المعرفة، عمان – الأردن، ط١، ٢٠٠٩ م.

التناص نظرياً وتطبيقياً : احمد الزعبي،مؤسسة عمون للنشر والتوزيع، عمان – الأردن،ط٢،٢٠٠٠ م.

ديوان الرقص في مواسم الألم : رشيد مجيد .

ديوان الزيت المقدس : رشيد مجيد، مخطوط.

رؤى نقدية لإبداعات شعرية : سلمان حسن زيدان، عالم الكتب الحديث، أربد – الأردن ، ط١، ٢٠١٣م.

شعرية الإلماع المرجعي في شعر كزار حنتوش، (بحث) : شيماء خيري فاهم، مجلة جامعة القادسية، مج٩، ع٢، ٢٠١٠م.

المفارقة في شعر وليد اخلاصي، (أطروحة دكتوراه) : أرشد يوسف عباس، كلية التربية للعلوم الإنسانية، جامعة الموصل، ٢٠٠٦م.

مقدمة أبن خلدون : عبد الرحمن بن خلدون، تحقيق : عبد الله محمد الدرويش، دار يعرب، دمشق – سوريا، ط١، ٢٠٠٤م .